

أقانبين

## بين الخوارزمي والهمداني

للأستاذ علي الجندي

(تسعة)

—\*—

كان دخول الرئيس أبي جعفر وصاحبيه الحربى والحيرى ،  
بمثابة هدنة نفست عن التناظرين ، وأتاحت لها قسطاً من  
الجمام ، فهدأت الشقاشق ، وسكنت الزماجر ، وأحسبهما أنسا  
بدخول الرئيس ، وارتاحا إلى هذه الهدنة ووداً أن يمتد أجلها !  
ولكن الرئيس لم يحضر لفض النزاع وحسم الخلاف ، بل أت  
كثيره ليرى تصاول العقول وتخاطر الفحول في ميدان العقول  
والمنقول !

فإن فرغ من السلام ، وأخذ يجلسه بين الصدور المقدمين  
حتى تولى توجيه المناظرة ، فافترح أن ينشداروية على وزن اختاره  
فقلّظ البديع بلسانه ، وسرعان ما أنشد اثني<sup>(١)</sup> عشر بيتاً  
منها :

برز الريح لنا برونق مائه فانظر لزوعة أرضه وسمائه  
والتراب بين ممسك وممنبر من نوره ، بل مائه ورؤائه  
والماء بين مصنبدل ومكفر في حسن كدرته ولون صفائه  
والطير مثل المحصنات صواح مثل المنى شادياً بفتائه  
زمن الريح جلبت أزكى متجر وجوت للرائين خير جلانه  
فكأنه هذا الرئيس إذا بدا في خلقه وصفائه وعطائه  
ما البحر في تزخاره ، والنيث في أمطاره ، والجو في أنوائه  
بأجل منه مواهباً ورفائباً لا زال هذا المجد حلف فتائه  
ثم أنشد الخوارزمي على هذا المثال تسمة أبيات لم نثر عليها  
في مظاهرها

وقد وصفها البديع : بأنها جمعت بين إقواء وإكفاء وأخطاء  
وإبطاء ، وأنه أخذ عليها عشرين مأخذاً ، وذكر أنه أجه  
إلى عميدى المجلس الوزير والرئيس ، فقال — مشيراً إلى الخوارزمي

(١) هنا تضارب بين رواية ياقوت ورواية الرسائل وقد رجحنا الثانية

بمد فراغه من الإنشاد — : لو أن رجلاً حلف بالطلاق أن لا أقول  
شعراً ، ثم نظم تلك الأبيات التي قالها الخوارزمي ، هل كنتم  
تطلقون عليه امرأته ؟ فهتفت الجماعة : لا يقع بهذا طلاق !  
ثم طلب البديع إلى الخوارزمي أن ينقد أبياته المتقدمة  
( برز الريح لنا برونق مائه ... ) فقال الخوارزمي : قلت : أنظر  
لزوعة أرضه وسمائه ، ويقال : انظر إلى كذا . فلم تسمع منه الجماعة  
وشبهت الطير بالمحصنات ، ثم شبهتها بالمنيات . وأى شبه  
بين المحصنات والطير ؟ ثم كيف توصف المحصنات بالفناء ؟

فرد البديع : يارقيق ! إذا جاء الريح كانت شواذى الأطيوار  
تحت ورق الأشجار ، فيكن كأنهن المخدرات بين الأستار ،  
والطيور في الخدور كالمحصنات ، وكالطير في ترجيع الأصوات  
ثم قال الخوارزمي : وقلت : زمن الريح جلبت أزكى متجر .  
هلا قلت : جلبت أريج متجر ؟ فقال البديع : ليس الريح بتاجر  
يجلب البضائع الرخيصة .

ثم قلت : كالبحر في تزخاره ، والنيث في أمطاره ، والنيث  
هو المطر . فقال البديع : لا سقى النيث أديباً لا يعرف النيث !  
النيث هو المطر ، وهو السحاب . فصدقه الحاضرون

وهنا قال الإمام أبو الطيب السملوكي : قد علمنا أى الرجلين  
أشمر ، وأى الخصمين أقدر ، وأى البديهتين أسرع ، وأى  
الرويتين أصنع !

ثم مال المتناظران إلى فنون أخرى ظهر فيها فوق البديع ،  
ووافق ذلك ملالة الحضور فشرعوا في الانصراف ، وهم يتنون  
على البديع ويسلقون الخوارزمي بالسنة حداد !  
وهم الخوارزمي بالقوام فأصيب بإغماء ! فأنحى عليه البديع  
متمثلاً بقول بشر بن عوانة :

يمز علي في الديدان أنى قتلت منافسى جلدأ وفهرا  
ولكن رمت شيتا لم يرمه سواك ، فلم أطق ياليت صبرا  
ثم أخذ يمسح عن وجهه ! ويقبل بين عينيه ! ويقول — على  
سبيل الاستهزاء — : إشهدوا أن للقلبة له !

ثم مدت الموائد وتكوف حولها الحضور لتناول الطعام ،  
وكان الظفر فتح شاهية البديع ! فجعل — كما يصف نفسه  
ويصف خصمه — يكرع في الجفان ، ويسرع إلى الرغفان !

ويعمن في الألوان ا والخوارزمي يتناول الطعام بأطراف الأظفار ا  
فلا يأكل إلا قضمًا ، ولا يتناول إلا شئًا ا

وقد بلغ من جفوة البديع وتحجر مشاعره أنه لم يرغ  
للطعام حرمة ا فأنخذ خصمه حزة وسخرية ا وتناوله بقتون من  
التندر اللاذع حتى استكفبه البرز بقره : قد ملكت فأسجج  
ولما قام الخوارزمي عن المائدة - وقد خنقه تبرج الفيظ -

قال للبديع : لأتركك بين الميات . قال : ما معنى الميات ؟ قال :  
بين مهذوم ، مهزوم ، محوم ، سرجوم ، محروم ا فقال للبديع :  
وأتركك بين الميات أيضاً : بين اميام ، والسدام ، والجذام ، والحام  
والسّام<sup>(١)</sup> ، والركام ، والبرسام<sup>(٢)</sup> والسقام ا وبين السينات : بين  
منحوس ، منخوس ، منكوس ، معكوس ا وبين الخلاءات . من  
مطبوخ ، ومسبوخ ، ومشدوخ ، ومفسوخ ، وممبوخ ا وبين  
البيئات : بين متلوب ، مسلوب ، مرعوب ، مصلوب ، مركوب  
شكوب ، منهوب ، منصوب<sup>(٣)</sup> ا

ثم انفض المجلس وخرج للبديع تحفه هالة من أصحاب الشافعي  
الثشنية ، يتبارون في تعظيمه وإجلاله ا ويوسمونه ضمًا وتقبيلًا ا  
وقبع الخوارزمي في مكانه حتى غربت الشمس ، فعاد إلى  
داره كسير القلب خافض الطرف كاسف للبال ا

وكان لهذه الهزيمة وما لابسها من تألب أهل بلده عليه ،  
وخذلانهم له ، وقع شديد على نفسه ا فدلفت إليه الملل ، وألحت  
عليه الأوجاع ، فلم ينقض الحول حتى وافته المنية في شوال سنة  
ثلاث وثمانين وثلثمائة هـ

ومن الغريب أن اختلاله لم يخفف من حقد خصومه عليه ا  
فكتب بعض سفنهم إلى البديع ينهته بمرضه ا فرد عليه البديع  
بكتاب لبس فيه مسوح الزهبان ، وسرقات الصوفية ا ومن  
الإنصاف . أن نشيد بما انطوى عليه من أريحية ونبل ولعل  
مراد ذلك إلى الصفاء الذي بماود النفوس بمد أن تهبط فورثها ،  
وتنجلي عنها غشاوة الباطل ا فتوقن أن المجد كله لله والهزة له

(١) الثوت (٢) الجنود

(٣) زهر الآداب ٢ - ١٥٥ - ١٥٦ تفصيل ومضبوط وشرح

الدكتور العلامة ركي مبارك

جميعا ا ولعل مراد ذلك أيضاً إلى أن الظفر بالقرن 'يحمل' الضئيفة  
ويعحو غليل الصدور ، بل يستحيل - على تراخي الأيام - إلى  
عطف ورثاء ا وشواهد التاريخ على ذلك كثيرة

قال البديع في كتابه : الحرء - أطل الله بقاءك - لا سيما  
إذا عرف الدهر معرفتي ، ووصف أحواله صفتي ، إذا نظر ، علم  
أن نعم الدهر ما دامت ممدودة فهي أماني ، وإن وجدت  
فهي عواري ، وأن عين الأيام - وإن مطلت - نستفد ،  
وإن لم تصب فكأن قد ، فكيف يشمت بالحنة من لا يأمنها  
في نفسه ، ولا يدمها في جنسه ، والشامت إن أفلت ، فليس  
بفوت ، وإن لم يمت فسيموت . وما أقبج الشهامة بمن أمن  
الإمارة ، فكيف بمن يتوقمها بمد كل لحظة ، وعقب كل لحظة .  
والدهر غرثان ، طممه الخيار ، وظمان شربه الأحرار . فهل  
يشمت المرء بأنياب آكله ؟ أم بسرّ الماقل بسلاح قائله ؟ وهذا  
الفاضل - شفاء الله - إن ظاهرناه بالمداوة قليلاً ، فقد باطناه ودا  
جيباً . والحر عند الحمية لأيسطاد ، ولكنه عند الكرم ينقاد ، وعند  
الشدايد تذهب الأحقاد . فلا تتصور حالتني إلا بصورتها من التوجع  
لملته ، والتحزن لمرضته . وقاه الله المكروه ، ووقاني سماع المخدور  
فيه ، بتمه وحوله ، ولطفه وطوله ا

ولما مات الخوارزمي رثاه البديع ، ولعله اقتدى في ذلك  
بجربير في رثائه للفرزدق قال<sup>(١)</sup> :

حنانيك من نفس خافت وليبك عن كد ثابت  
تحملت فيك من الحزن ما تحمله ابئك من صامت  
حلفت لقدمت من مضر غنيين عن خطر السائت  
يقولون : أنت به شامت فقلت : التري بقم الشامت  
وعزّت على معاداته ولا متدارك لفة السائت

ورثاه أبو الحسن الرقائي فأحسن وأساء :

مات أبو بكره وكان امرأً أدهم في آدابه للنسر  
ولم يكن حراً ولكنه كان أمير المنطق الحر

ورثاه البديع للخوارزمي قد يصور لنا طرفاً من الحرقه  
واللوعة التي يجدها النظير لفقده نظيره ا ولكنه لا يكشف عن

(١) البنية ٤ - ١٩٦ - ١٩٧

بالراحة ، ويتملى النعيم ، فتغير (هراء<sup>(١)</sup>) دار قرار ، وصاهر  
فيها الحبيب النسب أبا على الحسين الخشني ، فأوى منه إلى  
ركن شديد ، واقتنى بمعونته ضياعاً فاخرة  
ولكن القضاء العادل كان واقفاً له بالمرصاد فأخذه ولم يقلته ا  
وما من يد إلا يد الله فوقها ولا ظالم إلا سيدي بظالم  
فن قائل : إنه مات مسموماً ؛ ومن قائل : إنه أصيب بالجنون ؛  
وهناك رواية وثيقة تقول : إنه اعترته غشية فظن به الموت  
وعجل له الدفن ، فأفاق في قبره وسمع صياحه بالليل ، فشقوا عنه  
فأسابره قابضاً على لحينه وهو ميت من هول القبر ووحشته ا  
وكان ذلك يوم الجمعة الحادى عشر من جمادى الآخرة سنة  
ثمان وتسعين وثلاثمائة هـ  
نسأله تعالى حسن الخوايم ا  
هل الجندى

(١) مدينة حصينة الموقع في مملكة الأفغان الحديثة ، تعد ثلاثة مدنها  
بمد كابل وقندهار ، وكانت مشهورة قديماً بصياحة الوجوه والشمس الجيد  
ويقال : إن الذى بناها الاسكندر المقدونى

شئ من فضائل المرثى كما هي سنة الرثاء ، حتى لقد قال بعض للنقاد:  
إنه لم يخل من الدس والسماية ا  
ومهما يكن من شئ فقد كان البديع أكرم نفساً وأسى  
طبعاً وأعف بياناً من الصحاب بن عباد الذى قال حين بلغه موته:  
أقول لركب من خراسان قافل  
: أمات خوارزميكم ؟ قيل : لى نعم  
فقلت : اكتبوا بالجص من فوق قبره  
: ألا لمن الرحمن من كفر النعم ا  
وبانتصار البديع أولاً وبموت الخوارزمى ثانياً ، نبه ذكره  
واستطارت شهرته ، ونفقت سوقه لدى الملوك والأمراء والوزراء،  
وتهادته الأقطار والأمصار ، فلم تبقى بلدة في خراسان وسجستان  
وغزنة إلا دخلها ، فخصت حاله وكثر ماله وفشت نعمته  
وأراد - بعد امتلاء الوطاب وانتفاخ الجراب - أن يستمتع

## سكك حديد الحكومة المصرية

زوروا الأقصر وأسوان

بالتذاكر المشتركة بأجور مخفضة

للسفر بالسكة الحديدية والمبيت بمربات النوم والوقامة والوكيل باللوطنات

بتخفيض يتراوح بين ٣٠ - ٤٠ في المائة

في الأقصر في أسوان

لوكاندة وتربالاس (درجة أولى)	}	لوكاندة كتاركت (درجة أولى)
لوكاندة الأقصر أو لوكاندة سافوى		لوكاندة جراندا أوتيل أو أسوان كامب
أو لوكاندة المائلات (درجة ثانية)		أوتيل أو فكتوريا أوتيل (درجة ثانية)

ولزيادة الإيضاح الرجاء الاتصال بقسم التسيير بإدارة العامة بمحطة مصر